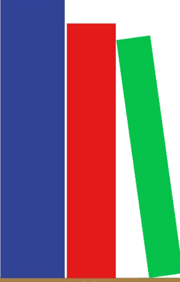
دور المستمع

في ترشيد المنبر الحسيني

حسين علي المصطفى

دار المحجة البيضاء



مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع ايمان أبي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح ايمانه .
الإمام الصادق (ع)

moamenquraish.blogspot.com

دور المستمع

في

ترشيد المنبر الحسيني

دور المستمع

في

ترشيد المنبر الحسيني

حسين علي المصطفى

دار المحجة البيضاء

منشورات القلعة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ / ٢٠١٠م



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

بسم الله الرحمن الرحيم

لِكُلِّ شَيْءٍ فَاكِهَة
وَفَاكِهَةُ السَّمْعِ الكَلامُ الحَسَن

(الإمام علي بن الحسين عليه السلام)

مقدمة

لو لم تكـن هناك مرآة نبصر فيها وجوهنا، هـل كان بإمكاننا أن نعـرف مواطن الجمال فيها أو مواطـن الخلـل؟ هل كنّـا نسـتطيع أن نصلح مـن ترتيب هندامنا وشـعرنا، أو نرى ما قد يظهر على سحنة الوجه من اصفرار أو بثور؟ كيف كنّا نستطيع أن نتجمّل؟..

قد يجيب أحدنا بالقول: إذا لم تكن المرآة فربمـا كان سـطح المـاء السـاكن مرآة نـرى فيه وجوهنـا، وإذا لـم يكن الماء فالسـطح المعدني الصقيـل، وإذا لـم تكـن هـذه ولا تلـك فعيـون النـاس مرايـا، فـإذا رأوا ما يسـرّهم مـن مظهرنا

شعّت ابتسامة الارتياح على وجوههم كعلامة على أنّنا مرضيّون في نظرهم.

والحديث الشريف يشبّه المؤمن بأنّه «**مِرْآةٌ لِأَخِيهِ**»[1] المؤمن، وفي تعبير ثان: «**الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ أَخِيهِ يُمِيطُ عَنْهُ الْأَذَى**»[2]، فكما أنّ المرآة تُبدي المعايب و تحكي المحاسن، فأنّ المؤمن مسؤول عن نقل الصورة كما هي بلا تحريف ولا زيادة ولا نقصان، فإن رأى ما يسرّه من أخيه قال ذلك بصدق بعيداً عن التملّق والمجاملة، وإن رأى ما يسوؤه منه فلا يتردد أو يسكت أو يكتم ذلك في نفسه.

وهذه المرآة (المؤمن) كتومة إذا رأت منك ما يشين؛ فإنّها لا تنقل ذلك للقادم الذي يأتي بعدك لتقول له إنّها رأت في وجهك هذا

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٧٨.
(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٢٠ الحديث ١٦١٠٨.

العيب أو ذاك؛ لأنّها لا تحبّ الوشاية.

وكذلك هي لا تدوّن في ذاكرتها الصور القديمة، وإنّما تُظهر لك دائماً ما هو آني ومباشر، فإذا سبق لها أن رأت فيك عيباً ونبّهتك إليه في حينها، فإنّها لا تعاود التذكير به ثانية وثالثة لئلا تجرح إحساسك. فإذا جئتها لاحقاً وقد أصلحت من عيبك فإنّها تقوّم شكلك بعد الإصلاح وتنسى منه ما كان قبله.

والمرآة (المؤمن) لا تكشف -فقط- محاسن أو قبح المظهر الخارجي من وجه وزينة وشعر ولباس، وإنّما تُظهر جمال وقبح ما نقوم به من حركات أيضاً، فإذا وقفت أمامها متزناً فإنّها لا تتحيز ضدك وإنّما تظهر اتزانك ووقارك كما هو، وإذا وقفت إزاءها ورحت تقوم بحركات بهلوانية، فإنّها لا تبقى على الحياد، بل تقول لك إنّك أصبحت مثيراً للسخرية؛ فحديث المرآة

هـذا، هـو حديـث النقـد والنصيحة والتسـديد، وأخـوك المؤمن «من صَدَقَكَ لا مَنْ صَدّقَك»[1] أي يصدقك القول في الدين.

إنّ النقـد أداة مـن أعظـم الأدوات التـي اخترعتهـا البشـرية لبلـورة وعيهـا، واكتشـاف ذواتها وأصولها، وأوجه القصور في مشروعاتها وإنجازاتها؛ حيث تظل الأفـكار غائمة ومعتمة، ما لـم تتعرض لغثاء الألسنة، وأشعة التقييم.

وربما شـعر الإنسان أنّ ما لديه من ضعف فـي الحوافز علـى العمـل، وما لديه مـن قصور اجتماعي، وسـوء اسـتغلال للسـلطة والوظيفة، لا يعالج إلا من خلال تأسـيس سلطة اجتماعية، يمارسـها أفـراد المجتمـع بعضهم علـى بعض. وقد تعلّم الإنسـان من تاريخه الطويل أنّ البديل عن ممارسـة النقد وقبوله، سـيكون أشـكالاً من

(١) الإيضاح، للفضل بن شاذان: ص ٧٠.

الانحباس في الحركة الاجتماعية، وأشكالاً من الفساد والتأسّن الفكري... والتي لا تقود من جهتها إلا إلى الانهيار الداخلي والتحلل الذاتي.

•

مهما كان الوعي لدى الإنسان عظيماً، ومهما كانت جهوده كبيرة ومتميزة، فإنه ستظل هناك مسافة بين ما ينظّر له، وبين ما يتجسّد في الواقع العملي، وذلك لأسباب موضوعية، يصعب في كثير من الأحيان تجاوزها.

الفجوة بين ما هو كائن، وما يجب أن يكون، هي التي تعطي المشروعية للنقد، وتُلزمنا أخلاقياً بالإصغاء لمن يمارسه. صحيح أنّ بعض الناس إذا أرى القسم المملوء من الكأس شكا من وجود القسم الفارغ.

وصحيح أنّ بعض الناس يتجاهل نصف

عقولنا حين يحاول إبراز عيوب الآخرين وستر محاسنهم؛ إلا أنّ الصحيح أيضاً أنّ معظم إنجازاتنا ومواقفنا وتصرفاتنا، يظل مشوباً بشيء من النقص، ويظل بالتالي قابلاً للمراجعة والنقد والتصحيح. ويجب أن نعترف أنّ لدينا ميولاً فطرية إلى حبّ المديح، ونفوراً غريزياً من النقد؛ ولدى كثيرين منا أقدار من الثقة بالنفس، وتزكية العمل، مبالغ فيها، ولا تستند إلى معطيات حقيقة.

انطلاقاً من هذا وذاك، فإننا نرى أن تقبُّل النقد، والامتنان لمن ينقد، ينبغي أن يكون هو المبدأ الذي نحمل عليه أنفسنا، لكنّ هذا لا يحرم المرء من حقه في المجادلة عن نفسه، والدفاع عن موقفه، حيث إنّ هناك الكثير من النقد الذي يصدر عن اجتهاد خاطئ وعن رؤية غير واضحة.

ولعلّنا نلقي الضوء على حيثيات الموقف الذي ينبغي اتّخاذه من النقد في المفردات التالية:

١ – على المسلم أن يعدّ كل ما يقدَّم إليه من نقد هدية، تستوجب الشكر والتقدير، وذلك هو الحصيلة المنطقية لاعتقادنا بأننا قوم غير كاملين. وقد جاء في الحديث عن الإمام الصادق: «أَحَبُّ إِخْوَانِي إِلَيَّ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي»[1]. ورفض النصح فرع عن تزكية النفس، واعتقاد الكمال فيها، وهذا ما نهانا الله تعالى عنه بقوله ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[3]. إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٣٨.
(٢) النجم: ٣٢.
(٣) النساء: ٤٩.

المنكر ركن ركين في الحياة الإسلامية، وخير تشجيع لممارسته هو تقدير موقف الناصحين، وإشعارهم بالامتنان لعملهم.

٢- حين يوجَّه إلى الواحد منّا نقد ما، فإنّ عليه أن يسمعه بقلب وعقل مفتوحين، وآذان صاغية، ولا ينبغي إظهار التبرّم أو الاشمئزاز، أو مقاطعة الناقد قبل أن ينهي عرض ما لديه، فذاك أفضل مكافأة يمكن أن تقدّمها إليه.

٣- كثيراً ما يكون الناقد متزيداً، أو غير عادل فيما يقول؛ إذ كثيراً ما تكون معلومات الناقد غير دقيقة، وقد ينطلق في نقده من معايير غير صحيحة.. والواجب في كل هذا أن نستوعب الناقد، وأن نشعره أننا أكثر مما يتوقع في سعة آفاقنا ورحابة صدورنا، وأن نتّخذ مما قاله مادة للتواصل والحوار.

٤- كثيراً ما يكون المنتقد مندفعاً إلى النقد

بسبب كلمة سمعها عنك، وكثيراً ما يكون ما ينتقده من أقوالك مواقفك غير مبلوَر في ذهنه، وهنا فإنّ من حقك أن تتأكد من استيعابه لمرامي ما يقوله، وذلك من خلال طلبك منه أن يشرح مضمون الرسالة التي يودّ إيصالها إليك، وأن يأتي بأمثلة على ما يقوله، فإذا كان ينتقد فيك العجلة في اتخاذ القرار، أو عدم التزام الصدق.. فإنّ عليك ألا تتردد في مناقشة ذلك معه، وذكر المواقف التي يظن أنّ ذلك جرى فيها، وبذلك تؤمّن له نوعاً من (التغذية المرتدة)، وتساعد على أن يُنضج مقولاته، ويكون دقيقاً في ملاحظاته. إنك بذلك تشاركه في تصوّر الموقف حيث يجتمع لدى المنتقد أكثر من وجهة نظر واحدة، ويشعر بتعاطفك معه.

٥- لا ينبغي في أي حال من الأحوال أن نُفهم من ينتقدنا أنه مخطئ في كل ما قاله، وأنه

غير عادل، وأنّ كل ما يقوله ليس له أي أساس من الصحة؛ فذاك يقتـل روح المبادرة إليه، ويجعله يحجـم عن توجيه النصح في المسـتقبل؛ مع أنّ الأمـة في أمسّ الحاجة إلـى تنمية هذا النمط من السـلوك، وإحياء روح المكاشـفة والمصارحة. إنّ الناقـد إن لـم يُصِـب فيمـا قاله، فقـد أصاب فـي تحفّـزه واندفاعـه نحـو تقديـم الاعوجاج، ومحاصرة الخطأ، وله أجر ذلك وفضله، وينبغي أن نُشعره بذلك.

٦- علينا بعد أن نسمع ونناقش مع منتقدنا ما يقولـه أن نقوم بتلخيص النقـاط التي تضمّنها نقـده، وبَلْوَرتهـا معـه، حتـى لا نخطـئ في فهم الرسـالة الموجَّهـة إلينـا، وحتـى نشـعِر المنتقِد باهتمامنا بما قاله.

٧- من حق من وجّه إليه النقد أن يعبّر عن مواقفـه حيال ما يوجّـه إليه في إطـار من الأدب

الإسلامي، وشكر المنتقد، إذ إننا لا نريد لحركة النقد الاجتماعي أن توغر الصدور، وتباعد ما بين الناس؛ وأفضل طريقة لذلك أن ننفّس عن مشاعرنا من خلال إبدائها للمنتقد.

٨- آخر وأهم وأشقّ ما علينا أن نقوم به في هذا الشأن؛ ومع وجود نتائج حسنة لممارسة النقد، هو أن يفضي النقد إلى نوع من التغيير في سلوك المنتقَد، وهذه هي الثمرة الحقيقة من النقد، وهذه مسؤوليته ومهمته الخاصة التي لا يستطع أحد أن يقوم بها عوضاً عنه.

وفي الحديث: «**أَحَبُّ إِخْوَانِي إِلَيَّ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي**» فاعتبر الإسلام النقد (هدية غالية)؛ لأجل أن يكون النقد والنصيحة والتسديد مقبولاً ومرحباً به، بل يُقابل بالشكر.

والهدية -كما هو معلوم- تجلب المودة

«تَهَادَوْا تَحَابُّوا»[1]، فإذا صغت نقدك بأسلوب عذب جميل، وقدّمته على طبق من المحبّة والإخلاص، وكنت دقيقاً ومحقاً فيما تنقد، فسيكون لنقدك وقعه الطيب وأثره المؤثر على نفسية المنقود أو (المهدى إليه) الذي سيتقبّل هديتك على طريقة «وَوَفِّقْنِي لِطاعَةِ مَنْ سَدَّدَني، ومُتابَعَةِ مَنْ أَرْشَدَني»[2].

فتذكّر أنّ كلّ إنسان يحبّ ذاته، وأنّ الإسلام لا يمنع الإنسان من أن يحبّ ذاته ليحرّكها في اتجاه سلامة المصير، وأن يتحسّس ذاته فيتواضع للناس من حوله الذين إن كان يتفوّق عليهم في جانب فإنهم قد يتفوقون عليه في جانب آخر.

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٢٩٨ ح ٤٠٦٧، والكافي: ج ٥ ص ١٤٤.
(٢) الصحيفة السجادية: دعاء مكارم الأخلاق.

وأن يتحسّس ذاته ليعرف أن قيمتها بمقدار ما تحقّق في الحياة من عطاء وما تمارسه من مسؤولية، لذلك فالإسلام ليس ضد إحساس الإنسان بالذات، فالله سبحانه وتعالى يحدّثنا عن الذين ظلموا أنفسهم وعن الذين أهملوها، وعن الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم.

فالله تعالى لا يريد للإنسان أن ينسى نفسه، باعتبار أنه إذا نسيها فإنه يكون بذلك قد أهملها. ولذلك كانت التعاليم الإسلامية تدعو إلى أن يراقب الإنسان نفسه وأن يحاسبها، وأن لا يلتفت إلى غيره ويهمل نفسه، كما يفعل الكثير من الناس الذين يعرفون الكثيرين من حولهم، لأنهم يحدّقون في الآخرين أكثر مما يحدّقون في أنفسهم، ولذلك يفهمون الناس أكثر مما يفهمون أنفسهم.

ولذا يتوجب على الناقد أن لا يحطّم ذات

أحد بنقده القاسي الشديد، لنحرص على أن نرى ذات غير أجمل وأكمل وأنقى من العيوب.. وأن نقول له: إنّ دافعك إلى النقد أن تراه فوق نقدك، وعندها تكسب أخاً حبيباً بدلاً من أن تخلق لك عدواً.

ولم يكن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بمنأى عن أن يرفض نقد ناقد، حيث يقول: «فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ، وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقٍّ قِيلَ لِي، وَلَا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ، أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ، فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ...»[1]، فالنقد والمشورة حق للأمة في منظار علي عليه السلام.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢١٦.

ومن هنا فإنّ ما يتلى في موسم عاشوراء، من سيرة وخطاب، ليس بمنأى عن النقد. بل إنّ من الضروري أن ينطلق النقد بشكل موضوعي علمي، لنحصل من خلاله على عاشوراء متوازنة، بعيدة عن الإسفاف والإغراق، بطريقة نقدية علمية وموضوعية، لا ينطلق من عقدة شخصية أو فئوية أو خلفيات غير بريئة، تجعل الناقد يبتعد عن الدقة الموضوعية في صياغة نقده. وهذا ما أكد عليه أمير المؤمنين عليه السلام حينما سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين: «إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ وَ لَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَ ذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وَ أَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ»(١).

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٦.

رؤيــة تاريخية

المنبر هو ما يرتقى لأجل الوعظ والخطابة، وهو مشتق من نبرت الشيء أي رفعته، وسمي المنبر لارتفاعه. فهو الموضع الذي يرتقيه الخطيب وإمام الجماعة لإيراد الخطب والكلمات من فوقه. وكان موجوداً منذ صدر الإسلام.

وكان منبر الرسول ﷺ منارة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، بل أصبح جزءاً لا يتجزأ من إحياء الفكر الديني، والذي أشار إليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1]..

---

(١) الأنفال: ٢٤.

لقد كان محمد ﷺ يقف عليه، «ويهتف بلسان السماء، يهدي التائهين، والأثير من ورائه، يردد النداء أبعدَ ما يتناهى، فمحا كوناً وأثبت كوناً، وظل تمثالَ الحقيقة الباقية بين الكونين، وصوتَ الله في وعي العالمين متجاوباً بصدى الأبد.

لم يكن في عالم محمد ﷺ عرض لأنه لم يكن فيه عبودية، ولم يكن فيه بلاط لأنه لم يكن فيه إرهاب واستصناع عظمات مزيفات، وإنما كان المنبر فيه هو العرش، والمنبر رمز يشير إلى الكوّة التي شع منها الهدى، وانبثق منها الضياء»(١).

فهذا الإمام الصادق عليه السلام يروينا في صفاء منبر رسول الله ﷺ فيقول: «إِنَّ ثَلاثَ نِسْوَةٍ أَتَيْنَ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ:

---

(١) من أيام النبوة، الشيخ عبدالله العلايلي: ص١٠٩-١١٠.

إِنَّ زَوْجِـي لا يَأْكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَـتِ الأُخْرَى: إِنَّ زَوْجِي لا يَشَمُّ الطِّيبَ، وَقَالَتِ الأُخْرَى إِنَّ زَوْجِي لا يَقْرَبُ النِّسَـاءَ. فَخَرَجَ رَسُـولُ الله ﷺ يَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّى صَعِدَ المِنْبَرَ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: **مَا بَالُ أَقْوَامٍ مِـنْ أَصْحَابِي لا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ وَلا يَشَـمُّونَ الطِّيبَ وَلا يَأْتُونَ النِّسَاءَ أَمَا إِنِّي آكُلُ اللَّحْمَ وَأَشَـمُّ الطِّيبَ وَآتِي النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[1].

وكان المسلمون ينظرون إلى منبر الرسول ﷺ بقدسـية بالغـة؛ لمـا للمنبر مـن ذاكرة في تاريـخ الدعـوة إلـى الله سـبحانه، ولأنـه حمل رسـول اللـه ﷺ فـي خطبـه طيلـة دعوتـه في مسجده الشريف.

وكان آخر خطبة خطبها رسول الله ﷺ على هـذا المنبـر مـا جـاء فـي صحيحـة حنان

(١) الكافي: ج ٥ ص ٤٩٦.

بن سَدِير الصيْرَفي قال: سمعت أبا عبد اللهِ عليه السلام يقول: «نُعِيَتْ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم نَفْسُهُ، وَهُوَ صَحِيحٌ لَيْسَ بِهِ وَجَعٌ، قَالَ: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ قَالَ؛ فَنَادَى صلى الله عليه وآله وسلم: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، وَأَمَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ بِالسِّلَاحِ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم الْمِنْبَرَ فَنَعَى إِلَيْهِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ قَالَ: أُذَكِّرُ اللهَ الْوَالِيَ مِنْ بَعْدِي عَلَى أُمَّتِي أَلَّا يَرْحَمَ عَلَى جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ فَأَجَلَّ كَبِيرَهُمْ، وَرَحِمَ ضَعِيفَهُمْ، وَوَقَّرَ عَالِمَهُمْ، وَلَمْ يُضِرَّ بِهِمْ فَيُذِلَّهُمْ، وَلَمْ يُفْقِرْهُمْ فَيُكْفِرَهُمْ، وَلَمْ يُغْلِقْ بَابَهُ دُونَهُمْ فَيَأْكُلَ قَوِيُّهُمْ ضَعِيفَهُمْ، وَلَمْ يَخْبِزْهُمْ فِي بُعُوثِهِمْ فَيَقْطَعَ نَسْلَ أُمَّتِي. ثُمَّ قَالَ: قَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ فَاشْهَدُوا». وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: «هَذَا آخِرُ كَلَامٍ تَكَلَّمَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَى مِنْبَرِهِ»(١).

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٠٦.

وكان هذا المنبر الذي حمل جسد رسول الله ﷺ أثيراً عند المسلمين، وعند أهل بيت النبي ﷺ خاصة حتى أنّ الإمام الحسن بن علي عليه السلام رأى الخليفة أبا بكر وهو «يخطب على المنبر، فقال له: انزل عن منبر أبي، فأجابه أبو بكر: صدقت والله، إنّه لمنبر أبيك لا منبر أبي»[1].

ووقف الخليفة عمر على منبر الرسول يتكلم، ومن أقصى المسجد جاء الحسين عليه السلام يخطر بين الصفوف، حتى بلغ ميرقاة المنبر فما تهيبها، بل صعد رابط الجأش حتى انتهى إلى حيث يجلس عمر، فشاركه موضعه.

هو عليه السلام شديد الحنين، وشديد الهوى إلى أن يرى جده ﷺ وقد فصل عنه زمن

(١) تاريخ الخلفاء: ص ٨٠، والصواعق المحرقة: ص ١٧٥.

كان طويلاً في حس القلب، وكان خيالاً شديد الأسرِ له، فلما لم يجد فيه جده وجم ملتاعاً، فقد انهار ما اجتمع في خياله، كمن حيل بينه وبين ما يشتهي..

فقال عليه السلام لعمر في شيء من التحدي الصارم: «انزلْ عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك»[1]!!

ولم يصل إلينا منبر حمل من الفكر الوضاء المتلاحق كمنبر علي بن أبي طالب عليه السلام، فما ضبط في (نهج البلاغة) من مجمل خطبه وكلماته وما انبثق عن فكره الخلاق كان نتاج منبره، بل هو صاحب الكلمة المنبرية المشهورة: «سَلُوني قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي»[2]. ولذا يعرض

(١) من أيام النبوة: ص ١١٠ - ١١١.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٩، والغارات: ص ٧، وكامل الزيارة: ص ٧٤ ح١٢، والتوحيد: ص ٣٠٥.

الأديب اللبناني جورج جرداق فصلاً ممتعاً -من خماسيته في علي عليه السلام- عن أسلوب وعبقرية الإمام علي الخطابية، فهو يذهب إلى أنّ أسلوب علي عليه السلام تتوفر فيه صراحة المعنى وبلاغة الأداء وسلامة الذوق، ... ويبلغ أسلوب علي عليه السلام قمة الجمال في المواقف الخطابية، أي في المواقف التي تثور بها عاطفته الجياشة، ويتقد خياله فتعتلج فيه صور حارة من أحداث الحياة التي تمرس بها[1].

ومن شواهد صراحته ما جاء في رواية معتبرة عن علي بن رِئاب، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام: «أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لَمَّا بُويِعَ بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ، صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَخَطَبَ بِخُطْبَةٍ ذَكَرَهَا يَقُولُ فِيهَا: أَلَا إِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ

(١) علي صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق؛ ج ٣ ص ٢٠٧ – ٢١٧.

كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً، وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً، حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ، وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ، وَلَيَسْبِقَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا، وَلَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا، وَاللهِ مَا كَتَمْتُ وَسْمَةً، وَلَا كَذَبْتُ كَذِبَةً، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ وَهَذَا الْيَوْمِ»[1].

وفي زمن معاوية بن أبي سفيان، أمر بنزع منبر الرسول ﷺ من مكانه، وأتى به إلى الشام.. ففي معتبرة معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام يقول: **«لَمَّا كَانَ سَنَةُ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ، أَرَادَ مُعَاوِيَةُ الْحَجَّ فَأَرْسَلَ نَجَّاراً، وَأَرْسَلَ بِالْآلَةِ، وَكَتَبَ إِلَى صَاحِبِ الْمَدِينَةِ أَنْ يَقْلَعَ مِنْبَرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَجْعَلُوهُ عَلَى قَدْرِ مِنْبَرِهِ بِالشَّام، فَلَمَّا نَهَضُوا لِيَقْلَعُوهُ انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ، وَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ فَكَفُّوا،**

(١) الكافي: ج ١ ص ٣٧٠.

وَكَتَبُوا بِذَلِكَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَكَتَبَ عَلَيْهِمْ يَعْزِمُ عَلَيْهِمْ لَمَّا فَعَلُوهُ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَمِنْبَرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَدْخَلُ الَّذِي رَأَيْتَ»[1].

وأكد المؤرخ السمهودي هذه الحادثة فقال: «فلمّا قدم معاوية عام حجّ حرك المنبر، وأراد أن يخرجه إلى الشام، فكسفت الشمس يومئذ، حتى بدت النجوم...»[2].

وبقي المنبر، بعد ذلك، في أغلب الأوقات بيد الحكام والسلاطين والخلفاء. وكان يعتبر كأداة لنشر أفكارهم وتطلعاتهم.

فها هو معاوية بن أبي سفيان، بكل ما أوتي من دهاء وحيلة، يوظف المنبر لسب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وأصبحت

(١) الكافي: ج ٤ ص ٥٥٤.
(٢) وفاء الوفاء: ج ٢ ص ٣٩٨، وتاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٣٨.

هذه الممارسات الحادة في السب والطعن سنّة خبيثة أجروها بنو أمية[1]، بعد معاوية، لمدة أكثر من أربعين عاماً وعلى ٧٠ ألف منبر.

وأصحب السب والطعن في علي وشيعته راية الولاء للأمويين، فهذا سفيان بن عوف الغامديّ أمره معاوية أن يدخل العراق منحدراً مع نهر الفرات وأوصاه أن يغير وينهب ويحرق ويقتل، ومكافأة لهُ على تلك الأعمال عيّنه معاوية والياً على البصرة عام (٤١ هـ)، حيث صعد المنبر وافتتح كلامه بشتم علي عليه السلام[2].

(١) انظر: صحيح مسلم: ج ٤ ص ١٨٧١، وتاريخ دمشق: ج ١٣ ص ٢٦٦، وتهذيب الكمال: ج ٦ ص ٢٤٧، وسير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٢٦٤، وتاريخ الطبري: ج ٤ ص ١٨٨، والكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٦٨٤، والمستدرك على الصحيحين: ج ١ ص ٥٤١، ومستند أحمد: ج ٣ ص ١٨١، والبحر الزخار: ج ٤ ص ٩١، والسنن الكبرى: ج ٥ ص ٥٥.

(٢) تاريخ ابن الأثير: ج ٣ ص ٤١٤.

وكان كثير بن شهاب والياً من قبل معاوية على الري «وكان يُكثر سبَّ عليٍّ على منبر الرّي»[1].

يقول هشام بن الكلبي: «إني أدركت بني أودّ وهم يعلّمون أبناءهم وحرمهم سب علي بن أبي طالب عليه السلام»[2].

وفي سنة ٦٠هـ أوفد الإمام الحسين عليه السلام قيس بن مسهّر الصّيداوي، فانطلق نحو الكوفة يحمل كتاب الحسين عليه السلام، ووقع قيس أسيراً بيد قوّات الحصين المنتشرة في القادسية، فنُقِلَ إلى عبيد الله بن زياد، وطلب منه عبيد الله أن يصعد المنبر ويسب الحسين عليه السلام[3].

(١) تاريخ ابن الأثير: ج ٢ ص ١١١ و ص ٢١٧ و ص ٤٢٤.
(٢) الغارات: ج ٢ ص ٨٤٢.
(٣) الإرشاد: ج ٢ ص ٧١، وتاريخ الطبري: ج ٣ ص ٣٠٨، والبداية والنهاية: ج ٨ ص ١٨٨، والكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٥٥٣.

وفي الشام حين أخذ إليها أهل البيت عليهم السلام صعد خطيب من أتباع يزيد بن معاوية على المنبر وأخذ يثني على يزيد ويسبّ آل علي. وقد أطلق الإمام السجاد عليه السلام على هذا المنبر صفة (الأعواد) حين استأذن يريد ارتقائه وإلقاء خطبته التي فضح فيها يزيد وأتباعه وعرّف نفسه؛ إذ قال له: «**إنّي أريد أن أصعد هذه الأعواد لأقول ما لله فيه رضا، ولهؤلاء الناس صلاح**»[1].

ولا زال المنبر حتى يومنا هذا أداة إعلامية فاعلة للوعظ والإرشاد والخطب الدينية سواء في أيام محرّم، أم رمضان، أم في غيرها من الأيام والمناسبات، وارتقاء المنبر من الأساليب العريقة في الإعلام الديني. ومن المعروف أن استخدام المنبر للوعظ والخطابة خاص بعلماء الدين، أما غيرهم من الناس فيستخدمون المنصّة

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٣٧.

والطاولة لا المنبر، ولا زالت حرمة المنبر مصونة باعتباره تذكاراً لرسول الله ﷺ.

المنبر الحسيني:

اقترن المنبر (المأتم) الحسيني تاريخياً بالمجزرة التي نفذت في حق الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره بكربلاء، وقد جاء في كتاب (تاريخ العراق في ظل العهد الأموي) للدكتور علي الخرطبولي: «أنّ بيعة أبي العباس السفاح بدأت في الكوفة وشاء لها القدر أن تتم لأبي العباس، كأول خليفة من خلفاء تلك الأسرة، في عيد الشيعة الأكبر وهو يوم عاشوارء العاشر من المحرم سنة ١٣٢هـ، وفي نفس الوقت الذي كان الشيعة يحتفلون فيه بذكرى الحسين بن علي».

ومعلوم أنّ كلمة «عيد الشيعة الأكبر» يوم العاشر من المحرم تشير إلى أنّ الشيعة

كانوا معتادين، من زمن بعيد، على الاحتفال بذكرى الحسين عليه السلام في ذلك اليوم من كل عام، وأنه كان من أعظم المناسبات التي اعتادوا فيها أن يندبوا الحسين ويبكونه ويرددون مواقفه وتضحياته من أجل الحق والمبدأ والعدالة.

وكما اتخذ الشيعة وأهل البيت تلك الأيام أيام حزن وأسف وبكاء، على ما جرى للحسين وأسرته عليهم السلام من قتل وأسر وسبي، اتخذها غيرهم من الأعياد يتبادلون فيها التهاني والزيارات، ويتباهون بكل مظاهر الفرح والسرور في ملابسهم وندواتهم ومآكلهم وما إلى ذلك من مظاهر الفرح، تحدياً لشعور الشيعة واستخفافاً بأهل بيت نبيهم الذين فرض الله ولاءهم على كل من آمن بمحمد ورسالته.

وقد كان لأهل الشام ولأهل العراق في هذا المجال منهجان مختلفان؛ وصفهما السيّد

الرضي في أحد أشعاره بالقول:

كانَتْ مَآتِمُ بِالْعِراقِ تَعُدُّها
أَمَوِيَّةٌ بِالشّامِ مِن أَعْيادِها

ووصف الإمام السجاد عليه السلام بعض المآسي التي مرت عليهم بعد يوم عاشوراء في أبيات من الشعر جاء فيها:

يفرح هذا الورى بعيدهم
ونحن أعيادنا مآتمنا

إنّ هذا التأكيد من الأئمة عليهم السلام على زيارة الحسين عليه السلام، والترغيب المغري بها في عدد من المواسم خلال كل عام، لم يصدر منهم بالنسبة لزيارة غيره من الأئمة، ولا لزيارة من هو أعظم منه، كجده المصطفى وأبيه المرتضى، في حين أنّ كل واحد منهم كان يجسد الإسلام بجميع فصوله وخطوطه في أقواله وأفعاله، وقد وهب حياته لله ولخير الناس أجمعين،

وهانت عنده الدنيا بكل ما فيها من متع ونعيم ومغريات.

إنّ ذلك لم يكن إلا لأنّ شهادة الحسين عليه السلام، بما رافقها من الجرائم والفظائع، تثير الأحاسيس وتحرك الضمائر الهامدة، وتحث على مقارعة الظلم، والصبر في الشدائد والأهوال في سبيل المبدأ والعقيدة، ولأجل ما رافقها من تلك الأحداث القاسية، التي لم يسجل التاريخ لها نظيراً، فقد اتخذها الأئمة عليهم السلام وسيلة لإثارة العواطف وإلهاب المشاعر وبعث الروح النضالية في نفوس الجماهير المسلمة؛ لتكون مهيّأة للثورة على الظلمة والجبابرة في كل أرض وزمان، وفي الوقت ذاته فإنّ تلك المآتم والذكريات تكشف عن طبيعة القوى التي تناهض أهل البيت، وتناصبهم العداء ومدى بعدها عن الإسلام، وتبين في الوقت ذاته

أنّ جوهـر الصـراع بينهـم وبيـن الحاكمين ليس ذاتيـاً ولا مصلحيـاً، كمـا جرت العـادة عليه في الصراعات بين الناس، بل هو من أجل الإسـلام وتعاليم الإسلام والجور الذي أصاب الناس.

دور المنبر الحسيني

عندما نتحدث عن المنبر الحسيني فإننا نتحدث بالضرورة عن منبر الإسلام الأصيل، وقد ظلت هذه المجالس الحسينية إحدى أهم الوسائل لنشر علوم ومواعظ أهل البيت النبوي عليهم السلام، وقد اهتم العلماء بتلك المجالس وما يُذكر فيها، فألّفوا الكتب لذكر فوائدها، وتعداد آدابها وشروطها، ومحاولة تنقيتها مما علق بها من أفكار وأساليب دخيلة لا تمت إلى مدرسة التشيّع.

فأهمية دور المنبر من الأمور التي لا تخفى على أحد؛ لما يمثله المنبر:

أولاً: في نشر ثقافة الإسلام بالحكمة

والموعظة الحسنة.

ثانياً: في تأصيل مفاهيم الإسلام وإبعاده عن أفكار التخلف والغلوّ والخرافة.

ثالثاً: عدم تناول أحداث التاريخ الإسلامي بقراءة عاطفية..

أوليست القراءة السائدة لأحداث صدر الإسلام وما جرى بعد وفاة النبي ﷺ تتكئ على عنصر أخلاقي وهو حسن الظن بالصحابة، وتتخذ من عدالتهم المدّعاة مرجعاً في تحليل الأحداث وتقييمها؟! الأمر الذي أدى إلى استخلاص نتائج لا تمت إلى الحقيقة بصلة.. إنّ القراءة العاطفية للتاريخ، المنطلقة من مبدأ حسن الظن أو الإعجاب بهذا التاريخ ورموزه، والتي تسعى جاهدة للإصلاح بين الجماعات أو الشخصيات المختلفة، فيما لا يمكن الإصلاح فيه، قد أسهمت في ضياع الحقائق وتمييع

الوقائع وساوت بين الجلاد والضحية وبين الصالح والطالح.

في مقابل هذه النظرة المفرطة في التفاؤل وحسن الظن، يقف أصحاب منطق القطيعة مع التاريخ الإسلامي والإدانة لكل منجزاته ورموزه، واعتباره تاريخاً مزوراً ومبنياً على باطل، وكل ما بني على باطل فهو باطل، إنّ هذه النظرة السوداوية المفرطة في التشاؤم وإساءة الظن مجافية للحقيقة وبعيدة كل البعد عن الميزان الشرعي، الذي يدعو إلى الإنصاف والعدل في تقييم الأحداث والأشخاص، وإعطاء كل ذي حق حقه، قال تعالى: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

رابعاً: في إصلاح ما فسد في الواقع

(١) المائدة: ٨.

الإسلامي على الصعيد الأخلاقي والاجتماعي والسياسي.

خامساً: في إثارة الوعي لدى المسلمين أمام التحديات الموجّهة إليهم للسيطرة على مقدراتهم.

سادساً: في إبراز النهضة الحسينية كحركة إنقاذ للواقع الإسلامي كله بعيداً عن النزعات القومية والعرقية، وعن الطائفية المذهبية، وعن العصبيات الحزبية والمرجعية ...، فالخشية مما نقوم به من تصغير عاشوراء، وهي التي انطلقت إسلامياً كما قال صاحبها: «**خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر**»، إنّ رسول الله ﷺ قال: «**من رأى منكم سلطاناً جائراً مُحِلاً لحرم الله ناكثاً به مخالفاً لسنّة رسوله يعمل في عباده بالإثم والعدوان فلم يُغر عليه بقول ولا بفعل كان حقاً**

أن يدخلـه مدخله ». وهذا ما يمـزق وحدة الأمة ويجعل بأسها بينها وإشغالها بالهوامش الجزئية، بدلاً من أن يكون بأسها موجهاً إلى أعدائها.

وسـابعاً: تقديم الصورة المشـرقة لأبطال كربلاء، بالصورة الرسـالية المشـرقة البعيدة عن الضعـف والخـذلان، ليعـرف النـاس فيها روح القـوة والعزيمة والتحـدي في مجابهـة الطغيان بكل صلابة.

ولقـد قـال أئمـة أهـل البيـت عليهم السلام فـي حديثهم عن المنبر الحسـيني ورسـالته: «**أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا**»[١].

وخلاصة الأمر نقول:

ليـس لأهل البيت عليهم السلام أمرٌ إلا الإسـلام الأصيـل فيما خطوّه ونهجوه في قضايا الإنسـان

(١) قرب الإسناد: ص ١٨، وأمالي الطوسي: ص ١٣٥.

في كل زمان ومكان.

ولـم يكن لأهـل البيـت عليهم السلام أي اهتمام بالجانـب الذاتـي لشـخصياتهم المقدسـة، بـل انصـبّ اهتمامهـم علـى الجانب الإسـلامي في حركتهـم الفاعلـة فـي خـط الإمامـة التـي تمثل الامتداد الحركي لرسالة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. وقـد جاء عـن الإمام الباقر عليه السلام: «مَـنْ كَانَ للهِ مُطِيعـاً فَهُوَ لنَا وَلِيٌّ، وَمَنْ كَانَ لِلـهِ عَاصِياً فَهُوَ لنَا عَدُوٌّ، وَمَا تُنَالُ وَلَايَتُنَا إِلَّا بِالْعَمَلِ وَالْوَرَعِ»(١).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٧٤.

الجمهور والخطيب

الجمهور ركيزة أساسية من ركائز الخطابة. وبدون جمهور (مستمع) لا تكون هناك خطابة. وللجمهور أثر كبير في نجاح الخطيب والخطاب معاً، فأداء أغلب الخطباء يزداد تألقاً مع ازدياد عدد جمهوره ويضعف تبعاً لقلة الحضور.

ومن جهة أخرى فإنّ وظيفة الخطيب هي إقناع الجمهور بما يلقيه على مسامعهم، واستمالتهم إلى ما يدعو إليه وبالتالي فإنّ الهدف الأساسي والوظيفة العظمى للخطيب هي التأثير في الجمهور سلباً أو ايجابياً تجاه ما يعرض عليهم من أفكار أو معلومات.

وللتعامل مع الجمهور فإنّ الخطيب

بحاجه إلى أدوات:

١ - فن الإقناع: لا شك أنّ إقناع الآخرين برأي أو فكرة أو معتقد لا يحدث اعتباطاً. بل لذلك وسائل وأدوات بعضها فطرية قد يحصل عليها بعض الناس هبة من الله تعالى. فيكون موهوباً وذا قدره على إقناع الآخرين بهذه الموهبة الربانية.

وفي المقابل توجد طرق فنية ووسائل متعددة إما لزيادة نسبة الإقناع أو لتعليم الفاقد لهذه الموهبة بعض الوسائل والأساليب.

ولكي يخلو الإقناع من كلمات الخداع، والأغراء، والتفاوض.. على الخطيب أن تتوفر فيه عناصر الإقناع (المصدر - المصداقية - الرسالة - المستقبِل).

وفي خصوص (المستقبِل) ينبغي مراعاة

ما يلي:

أ - الفروق العمرية والبيئية.

ب- الاختلافات الثقافية والمذهبية.

ج- المكانة العلمية والاجتماعية.

د - مستوى الثقة بالنفس.

هـ- الانفتاح الذهني.

٢- فن الإلقاء: لا أحسب أنّ نجاح شخصٍ ما في عملية الإلقاء الخطابي أو اللفظي، أو بتعبير أخر (توجيه الرسائل الإعلامية)، مسألةٌ عاديةٌ متاحة لكل أحد إذا تركنا الموهبة جانباً. فليس كل الخطباء يمتلك استعداداً وموهبة كبيرة في الإلقاء. كما أنّ من يتوفرون على هذه الموهبة يختلفون فيما بينهم نسبياً. فمنهم من يمتلك ناصية هذا الفن فطرياً إلى درجة عالية، وهناك من هو دونه من المستويات والمطلوب تطوير هذه المواهب فضلاً عن تعليم من لا يمتلك

منها شيئاً.

فللإلقاء أمور فنية عديدة:

أ - التحدث باللغة العربية التي يفهمها السامع.

ب- التأني في الكلام.

ج- الموازنة في الصوت.

د - الإقبال على المستمعين.

هـ- حركات اليدين.

و - التجديد في الأساليب: (القصة - القدوة - ضرب المثل...).

٣- النفوذ: وبغية زيادة التأثير في السامع لا بد أن يكون الخطيب نافذاً ومهيمناً على المستمع ليتعمق تأثيره فيه، كما أنه يمتاز بالقدرة على إلهام الآخرين عند الاتصال بهم، وجذب انتباههم بشكل أكثر من المعتاد.

وغير خافٍ أنّ للنفوذ آليات وصفات:

أ - عدم تقليد الآخرين.

ب- الثقة بالنفس.

ج- الاسترخاء.

د - العواطف القوية.

هـ-التفكر قبل الكلام.

و -التكلم بإقناع.

ز -معاملة الناس كما يحبون أن يعاملوا.

ح- الصبر.

٤ - **العلاقات العامة**: وهي جزء من مباحث علم النفس الاجتماعي التي يجب التركيز عليها. فإنّ الخطيب عندما يذهب إلى بلدة ما ليمارس فيها الخطابة فلا شك انه سيمارس وظائف أخرى إلى جانب الخطابة.

ولكن قبل كل هذه الأدوات على الخطيب

أن يملك ناصية العلم والمعرفة، بحيث لا تكون الخطابة اكتساباً معرفيًّا ذاتيًّا فقط، على عكس ما كان سائداً في عصور الإسلام الماضية حيث لم يكن الأمر كذلك، فلو «راجعنا كتب الرجال سنرى أنّ عدداً كبيراً من العلماء كان يعرف باسم الواعظ والخطيب، كالخطيب الرازي والخطيب التبريزي والخطيب البغدادي والخطيب الدمشقي، وكلمة الخطيب هذه لم تكن إلا جزءاً من أسمائهم، فما هو مقام هؤلاء العلماء الذين ذكرناهم الآن؟»[1].

ويُجري الشهيد المطهري مقارنة بين هؤلاء الخطباء، وما هو سائد اليوم في ساحة الوعّاظ أو قرّاء التعزية، فيجد أنّ هناك فرقاً شاسعاً بين أولئك الخطباء؛ حيث إنّ كل واحد من هؤلاء الذين لُقّبوا بالخطباء بحد ذاته بحراً

(١) الملحمة الحسينية: ج ١ ص ٢٦١.

من العلم وبمستوى مقام مرجع التقليد، وكان مقامه يستوحى منه واجب التعريف بالإسلام.

ونرى الشهيد المطهري لا يسلم بأهلية الخطيب (الواعظ أو قارئ التعزية) ومستواه العلمي إلا بعد إجراء الفحص والاختبار والقيام بعملية تقصي شاملة للتأكد من أهليته، كما هو الحال في عملية التأكد من أهلية مرجع التقليد[1].

وعلى ضوء هذا يُظهر الشهيد ﷺ خشيته من انحراف المجتمع نحو أشخاص من دون أن يراعوا تحصيل الشروط والقيم، التي تؤهل الفقيه لكي يكون مرجعاً للتقليد، تماماً كما جرى التعاطي مع الخطباء غير المؤهلين، وعند ذلك «يبدأ الناس بقبول أشخاص في سلك المرجعية ممن ليس لهم صلاحية مثل

(١) الملحمة الحسينية: ج ١ ص ٢٦١ - ٢٦٢.

هذا المقـام والموقع، لكن هـذا المقام محفوظ والحمد لله ويجب أن نحافظ عليه أكثر »[1].

والشـهيد المطهري يعتبر «أنّ مقام المبلِّغ للإسلام والداعية الإسـلامي الذي يُبلِّغ الرسالة الإسـلامية لعمـوم النـاس والتعريف بالإسـلام باعتباره مدرسـة الحياة، هـو في الواقع ليس أقل قيمةً من مرجع تقليد المسلمين، لا يحتاج الأمر منكم إلـى العجب، فمقام بهـذه الحدود، يجب أن يمتلـك مؤهـلات كبيـرة، مع العلـم أنّ هناك أموراً مطلوب توافرها فـي مرجع التقليد، لكنها غير مطلوبة في شروط المبلِّغ »[2].

ويُحمّـل المطهري المجتمع مسـؤولية ما آلت إليـه الأوضاع، لأنه يهمل المعايير الواجب توفرهـا فـي الخطيـب، ويعـرض للطريقـة التي

(١) الملحمة الحسينية: ج ١ ص ٢٦٤.
(٢) الملحمة الحسينية: ج ١ ص ٢٦٤.

يرتقي فيها الخطيب سلَّم المقام التبليغي لواقعة عاشـوراء، فيرى «أنّ أي فـرد في المجتمع اليوم يملك صوتاً جميلاً ولديه قدرة بسيطة في تلحين الشعر وحفظ عددٍ بسيط من الأشعار تراهُ يتدرّج شيئاً فشيئاً ليصبح مداحاً في المناسبات الحسينية، فيقف جنب المنبر الحسـيني ويبدأ بقراءة بعض المديح وبعض المراثي الحسـينية في البداية... فهـل المهم أن يكتـظ المجلس بالمسـتمعين أم أنّ المهم ماذا سيسـمعون؟! إنها خيانة للإسلام أن يكـون الوعظ والتبليغ قد بدأ من مرتبة القدرة على تلحين بعض الأشعار!»[1].

(١) الملحمة الحسينية: ج ١ ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

آلية الخطاب

بين الخطيب والمستمع

«أسمع الأسماع ما وعى
التذكير وانتفع به»
(الإمام الحسن بن علي)

١ - أن نؤمن بحقيقة إنسانية ثقافية وهي أنه ليس أحد يملك الحقيقة المطلقة، فكل واحد منا يملك الحقيقة من وجهة نظره، ولكل منا ثقافته، وخلفيته العلمية في المدرسة التي ينتمي إليها. وقد اعتبر الإسلام الخلاف الفكري وسيلة مناسبة للحوار ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]. ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي

(١) النحل: ١٢٥.

﴿هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[1]. فعلينا أن نتحاور فيما اختلفنا فيه، وأن يعتبر كل واحد منا أنه إذا كان من حقه أن يختلف مع الآخرين فلماذا لا يكون من حق الآخرين أن يختلفوا معه؟ والقرآن الكريم أطلق الفكرة في ذلك ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

٢- (الموضوعية) وهي أن تدرس القضية مع الآخرين من خلال عناصرها، فربما هناك فكرة لا توافق عليها أكثرية المجتمع، ولكن ليس معنى هذا أنّ الفكرة خطأ، وليس معناها أنّ هذا الرجل سيهدم المجتمع، فقد كان النبي ﷺ يقف منفرداً وكانت الأمة كلها تقف ضده إلا ثلة قليلة، والله تعالى يقول: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[3]. لأنّ هناك بعض الناس يوحون لك

(١) العنكبوت: ٤٦.
(٢) البقرة: ١١١.
(٣) الأعراف: ١٨٧.

أنّ كل الناس ضد هذه الفكرة، في حين أنّ الأمر ليس كذلك، وإنما هم الذين ترتفع أصواتهم، أما الذين لا صوت لهم ولا أحد يعرف رأيهم أو الأكثرية الصامتة، قد يكون لهم رأي آخر، فأن يكون الناس على فكرة فليس معناه أنّ هذه الفكرة هي الحق، لأنّ الأكثرية لا تمثل الحق، بل قد يكون الحق مع الأقلية، والتاريخ كما قلنا هو تاريخ المصلحين، وإذا كانت النظرة هي أنّ الحق مع الأكثرية، فإنّ أكثرية الناس كانت مع يزيد، والقلة في ظاهرها مع الحسين عليه السلام، وقد ترجم هذا أحد من التقاهم الإمام الحسين عليه السلام عندما سأله عن أحوال الناس في الكوفة بقوله: «قلوبهم معك وسيوفهم عليك».

فالموضوعية لا تعني أننا عندما نناقش فكرة يجب أن نراعي كم هم الذين يتّبعونها؟ وكم هم الذين يرفضونها؟ بل ما هي العناصر

الموجودة في داخل هذه الفكرة؟ وهل هي عناصر تؤيّد الفكرة أو تعارضها؟

٣- لا بد لنا أن نعرف أننا عندما نعرض الأفكار التي عندنا فإنها ليست جزءاً من تكويننا، فهذه الأفكار التي نحملها إما أن تكون أفكاراً ورثناها أو أفكاراً أنتجناها، فهي ليست جزءاً من ذاتنا، فإذا أراد شخص أن يقنعني أنّ فكري خطأ فربما يكون ما ورثته خطأ ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[1]. وإذا قال لي أخطأت، فلماذا أغضب؟ فالفكرة ليست جزءاً من ذاتي، فهناك فرق بين أن تكون متعصباً وبين أن تكون مفكّراً، فلا يمكن أن تكون مفكراً ومثقفاً وتكون متعصباً في نفس الوقت. ثم علينا أن نعرف أننا نريد الحقيقة والله تعالى أعطى للنبي ﷺ منهجاً يخاطب به الناس عندما كانوا

(١) الزخرف: ٢٣.

يقولون عنه أنه مجنون ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا للهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾، انفصلوا عن الجو المحموم وكل واحد أو كل اثنين يفكرون بمعزل عن الجو ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[1].

فعندما نختلف فإنّ معنى هذا أننا نستطيع أن نتفاهم أكثر في القضايا التي نختلف فيها.. وكما يقول الإمام علي عليه السلام: «ما كل ذي قلب بلبيب، ولا كل ذي سمع بسميع، ولا كل ناظر ببصير»[2].

(١) سبأ: ٤٦.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٨٨.

نقد المنبر

«السامع شريك القائل»

الإمام علي

١ - لماذا ننقد المنبر؟! هناك نقطة هامة لا يجب إغفالها وهي أنّ المنبر الحسيني لم يعد الوسيلة الوحيدة أو الأساسية لتلقي الثقافة الدينية، فأجهزة الإعلام تتقدم يوماً بعد يوم، وأصبح بإمكاننا أن نتثقف دينياً وعقائدياً بدون المرور بقناة المجلس الحسيني، بل إني أجزم بأنّ أجهزة الإعلام تقدم ثقافة أرقى بكثير مما يقدمه الخطباء الآن، فالانتقادات التي توجه إلى خطباء المنطقة لا أراها تخفى على أحد منكم، فشباب اليوم الذي رأى هذا الانفجار المعرفي الكبير، والذي شاهد كيف تتصارع

الأفكار والفلسفات المعاصرة بشكل حضاري متطور عبر أجهزة الإعلام، ليس مستعداً لأن يتلقى ثقافته من مصدر لا يستطيع أن يتطور بتطور الوقت، فأدوات الإعلام الحديث لا بد من مراعاتها عند قيامنا بأي نهضة جدية لتطوير المنبر الحسيني.

٢- أهم مشكلة برأيي في وضعية المنبر الحسيني الراهنة، هي عدم وجود تغذية عكسية بين طرفي عملية الاتصال وهما الخطيب والمستمع، فنجد أنّ أغلب مجالسنا الحسينية هي عبارة عن محاضرة يسبقها ويلحقها أبيات شعرية تُقدَّم بطريقة جنائزية حزينة من أجل إبكاء المستمعين لإكسابهم الثواب الجزيل، وهنا لا يوجد لدي اعتراض على ذلك إلا على هذه الرتابة التي ملّها الكثير منا، فالمتلقين لهذه المحاضرات لا يوجد لديهم أي طريقة للتواصل

الفعلي مع الخطيب، فهو بمجرد انتهاء محاضرته يسارع للخروج من المجلس الحسيني، فهلا كان هناك نوع من الحوار المفتوح بين الخطيب والجمهور؟!!

٣- يتراءى للبعض أنّ مهمة تطوير المنبر الحسيني هي مسؤولية الخطباء وحدهم، أو مسؤولية الجهة التي ينتمي إليها هؤلاء الخطباء، فقط، أي الحوزة العلمية، وهذا تصور خاطئ، فالمسؤولية مسؤولية الجميع؛ فالمستمع للمنبر الحسيني، ينبغي أن يتحمل دوره فى هذا التطوير؛ فلا يكفي أن نجتر الكلام فى مجالسنا موجهين سهام نقدنا للخطباء، بل من الضرورة بمكان أن نتواصل معهم، وفي الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»[1].. فالمستمع -على سبيل المثال- بإمكانه

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٠٣.

أن يُسهم فى المسح العام لأبرز المشكلات التى تتصدر قائمة الأولويات، وبإمكانه اقتراح بعض الموضوعات التى تهم المستمعين والمجتمع.

طموح المنبر

بين الخطيب والمستمع

١- من الضروري أن نعي بأنّ القضية الحسينية قضية متحركة في تعبئة الجماهير؛ لأنّها قضية إسلامية، لا بد أن يتزاوج فيها العقل والعاطفة.. كما أننا نحتاج إلى البراهين العلمية وإلى الجو العلمي من أجل تنمية الأفكار في عقولنا، نحتاج كذلك إلى الأساليب العاطفية من أجل تعميق العاطفة في إحساسنا ومشاعرنا.

٢- التجديد هو سمة الحياة، والمنبر الحسيني لا ينفك عن هذه السمة، ما دام كل ذلك يدخل تحت العنوان الكبير «**أحيوا أمرنا** رحم الله من أحيا أمرنا»، فالأئمة عليهم السلام لم يريدوا للمنبر أن يكون مجرد إثارة للعاطفة بل

أرادوه ليرتفع بمستوى الناس، ويعطيهم العزة والحرية والكرامة والوعي. فلا بد من العمل على محاولة تطوير المنبر الحسيني بما يتفق مع متطلبات العصر الحديث فعلاً، فهو بصيغته السابقة قد لبّى بعض متطلبات المرحلة السابقة، لكن في وقتنا هذا لا بد من وقفة متأنية لبيان بعض سلبيات وضعه الحالي، واقتراح بعض الوسائل المساعدة لتلبية احتياجات المتلقين في هذا الوقت.

٣- من الضروري أن يعي المخاطَب أننا أمرنا بتذكر التأريخ لنعتبر به ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[١]، وهناك فرق بين منبر يريد أن ينقل التاريخ ليثير الأحقاد من خلاله دون قضية، وبين أن ينقل التاريخ لتعتبر به، ولتأخذ منه التجربة والفكرة، ولتدخل في مقارنة بين حركته

(١) الحشر: ٢.

في تلك المرحلة وحركته في هذه المرحلة. ولذا فإنّ روتين المحاضرة الحسينية الحالي ليس طقساً مقدساً بحيث لا يمكننا تجاوزه، فالأسلوب الحالي للمحاضرة ما هو إلا أسلوب حديث نسبياً، وهنا لا بد من الاعتراف بأنّ هذا الأسلوب قد حقق أهدافه لمرحلة تاريخية معينة، لكن الزمن لا يعترف بالتوقف ضده، بل إنّ الزمن يحترم من يسايره يداً بيد.

٤- هناك أمر لا بد من توضيحه، وهو يتعلق بالهوة المعرفية التي تفصل بين الطرفين في هذه العملية الاتصالية الجماهيرية الهامة، فالمنبر الحسيني بطريقته الحالية لم يهتم بهموم الشباب، ولم يحاول خطبائنا أن ينزلوا من منابرهم لأرض الواقع، ليروا قضايا وهموم الشباب المعاصرة، بل إنّ معظم ما يطرحون يقدمونه من وجهة نظر تقليدية متزمتة، بدون

انفتـاح على أهم عنصر في المجتمع وهو رجال المستقبل.

٥- الكثيـر مـن الشـباب المثقـف يذهب للمجالـس الحسـينية ليـس مـن أجـل الثقافـة الدينيـة أو المعرفية ، وإنمـا من أجل نيل الثواب المكتسـب مـن وراء عمليـة المشـاركة في هذه المجالـس، ولمـا يتشـح بـه أجـواء محـرم مـن حماسـة دينية، فهـذه من الإيجابيـات التي لا بد من استثمارها فعلاً.

الدور المطلوب من المستمع

على الجمهور العاشورائي أن يكونوا جمهور الوعي الإسلامي الذي يشجع الخطباء الرساليين الذين يحرِّكون خطابهم في توعية الناس بالحق لا بالباطل، وبالوحدة لا بالتفرقة، وبالمحبة لا بالبغضاء، وبالفكر الأصيل لا بالفكر المتخلف.. لقد كان أهل البيت عليهم السلام قمة الوعي الحضاري، فلتكن المجالس الحسينية مجالس الحضارة الإسلامية الواعية، حتى نسمح لها بالامتداد في الأجيال المعاصرة والقادمة، ولا تسمحوا بكل مظاهر التخلف التي تؤدي إلى هتك المذهب مما توارثه الناس من عادات وتقاليد متخلفة.

إنّ المجالس الحسينية ليست مجرد

مواقـع لتحصيل الثواب، بل هي مواقع لتحصيل الثقافـة الإسـلامية والروحية الولائيـة الأصيلة.

كونوا جمهور الحسـين عليه السلام الذي هو جمهور الإسـلام الأصيل، الذي يحمل رسـالة الإسلام لتكـون قاعدةً للفكر والعاطفـة والحياة، ولذلك فـإنّ عليكم اختيـار الخطيـب الرسـالي الواعي الوحـدويّ الـذي تسـتمعون إليه، وقـد جاء في الحديـث عن الإمام الجـواد عليه السلام: «**مَنْ أَصْغَى إِلَـى نَاطِقٍ فَقَـدْ عَبَدَهُ، فَـإِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ عَبَدَ اللهَ، وَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ الشَّيْطَانِ فَقَدْ عَبَدَ الشَّيْطَانَ**»[1].

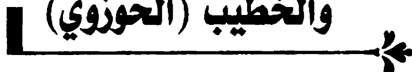
وربمـا يكـون مـن الجيـد أن تـوزع قائمة بالموضوعـات التى سـيطرحها الخطيب خلال موسم شـهر محرم؛ فالمستمع يذهب للاستماع وهو لا يدري شيئاً عن الموضوع الذي سيطرحه

(١) الكافي: ج ٦ ص ٤٣٤.

الخطيب؛ فلو حُدد الموضوع سلفاً، فقد يساعد هذا الأمر المستمع على اختيار المنبر الذى يعالج اهتماماته؛ فمستمعٌ يبحث عمن يرشده فى كيفية تربية أولاده، وثان يبحث عمن يرسم له خريطة التعامل مع زوجته، وثالث لديه إشكال عقائدى يبحث عن إجابة شافية له، ورابع، وخامس، وهكذا.

إشكالية المثقف

والخطيب (الحوزوي)



تحكم المثقف في عالمنا الإسلامي هواجس النهوض الحضاري، وهي هواجس أكبر من أن يحيط بها مثقف أو يتصدرها طالما أنه لم يعِ تراثه وعياً كاملاً، فلا يتاح له أن يعيش حالة التوازن بين ماض يريد العزوف عنه ومستقبل يطمح إليه، ويتسبب ذلك عادة بالقطيعة مع التراث والتي تتبدى بأشكال مختلفة، وهي قطيعة تترسخ معالمها من خلال ما يستوحيه من نظم وافدة لا تنتمي بحال إلى هذا التراث.

وفي المقابل يتسلح عالم الدين بما يفتقر إليه المثقف من نظم تراثية «شب عليها وشاب». ولكنه مع ذلك قد يقع في أسر هذه

النظم بحيث يتعسر عليه أن يتجاوز ما يمكن تجاوزه فيها، ويعود السبب في ذلك إلى الطرق التي من خلالها يهضم التراث والتي قد لا تفسح في المجال لمثل هذا التجاوز فيما لو أسيء فهم التراث الديني.

وليس من المفارقات الكبرى أن يقوم عالم الدين بمهمة المثقف أو العكس، ولكن عالم الدين يغدو مثقفاً، كما أنّ المثقف يكون مدفوعاً بالحميّة الدينية في تلك الحال.

وهناك مجالات يظهر فيها الخلاف بين المثقف وعالم الدين:

١- سطوة الأسس الفكرية:

إنّ الإنسان محكوم في رؤيته للواقع لشبكة من المؤثرات والمنظومات الفكرية التي درج عليها في أثناء تكوينه الذهني. ونظراً لتفاوت

المنطلقـات والأهداف التعليميـة ما بين الحوزة والجامعـة، فإنّ الواقع سـوف ينعكس في ذهنية المتلقـي عمومـاً، وبالتالي يتبلور فهمه للأشـياء بالكيفية التي تشـكلت بها ذهنيته الثقافية. ولهذا ربما قد نفاجأ حين نجد أنّ المشـكلة التي يعاني منهـا الطرفـان واحـدة، ولكـن مع اختـلاف في المنطلقـات والأهداف وحـدّة التباين في الرؤية أيضاً.

فالعلـم لا يكـون علمـاً إلا بمقـدار مـا يلامـس الواقـع فـ«العالـم بزمانـه لا تهجم عليه اللوابـس»[1]. وبهـذا الاعتبار، سـوف تقف بين المثقف والعالـم الديني من جهة، والواقع الذي ينتمـي إليه كل منهما من جهـة ثانية فاصلة، هذه الفاصلة يمكن أن نعبّر عنها كما يلي:

أ- واقـع لا ينتمـي إلـى الأسـس الفكرية

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٧.

«المعاصـرة»، والمطلوب في هـذه الحالة تغيير الواقـع بمـا يتناسـب مـع تلك الأسـس كشـرط للانطلاق. وتلك هي مشكلة المثقف.

ب- وواقـع ينتمـي إلى الأسـس الفكرية «التراثيـة»، ولكـن مـع وجـود مسـاحة فاصلـة تسـتدعي تطويـر الخطـاب وتحيينـه وتفعيلـه لمعاصرة الحدث. وتلك مشكلة عالم الدين.

٢- التخصص (سلاح ذو حدين):

العلوم الإسـلامية متمحورة حول النص، ومن مميـزات النص الديني أنه شـمولي، ونظراً لتعقيـد الواقع فـإنّ ربط النص بالواقع يسـتدعي العمل علـى إيجاد التخصص فـي مجال العلوم الدينيـة، فـي حين يفتقـر الواقع التثقيفـي الديني عمومـاً إلـى هـذه التخصصيـة، ويتسـم العالـم الديني بالشمولية على مستوى الطرح.

فالدارس الأكاديمي ينظر إلى العلاقات والروابط القائمة بين التيارات الفكرية بنظرة كلية شاملة في محاولة استجلاء معالمها الرئيسية وذلك من خلال مقارنة أوجه الاختلاف فيما بينها والحدود التي تفصل بعضها عن بعض، ولكن من دون الدخول في المعطيات المباشرة للظواهر المدروسة.

بينما الدارس الحوزوي يغرق في المعطيات المباشرة، بحيث يكاد أن تغيب عنه المعالم الكلية الفاصلة بين هذه التيارات الفكرية غالباً، ولكنه يمتلك بذلك وعي الحقيقة في تفاصيلها وهمومها الآنية. وفرق كبير بين التحليق بعيداً عن الأرض، وبين الاحتكاك الحميم بها.

وقد يكون إيجاد التخصص على المستويين الأكاديمي والحوزوي من جهة،

وإحاطة كل من الطرفين بالمكونات الفكرية لدى الطرف الآخر فيما يشبه عملية التكامل الفكري بينهما من جهة ثانية، على أنّ ذلك قد يساعد في التخفيف من حدة الإشكالية، نوعاً ما، من دون أن يعني بالضرورة زوالها.

٣- البعد الإيديولوجي في تفسير الظاهرة:

ينظر إلى التفسير المادي النافي للتفسير الغيبي، على أنه واحد من الأبعاد الإيديولوجية التي تدخل في نسيج البناء العلمي، بحيث تتشكل على أساسه الهوية العلمية. وهذا يكشف عن بعض وجوه التفاوت في المنطلقات الفكرية بين المثقف وعالم الدين.

فحين ينطلق المثقف وعالم الدين لمعالجة قضية ما من قضايا الواقع المعيش، مثل قضية «الإصابة بالعين» أو «الجن»، هنا سوف يعمد المثقف إلى تحليل هذه الظاهرة على

الأسس العلمية، وإذا لم يجد لها تفسيراً ضمن النطاق الفيزيائي، أو النفسي التجريبي... سوف يعمد إلى رفض هذه الظاهرة. وهو في رفضه لها لا ينطلق من أسس علمية طبعاً، فيكفي أن تنتفي القدرة العلمية على سبر أغوار الظاهرة حتى يتبرر بذلك نفيها عن الواقع المقبول لديه!

بينما عالم الدين لا يتوقف عند الإثبات المادي المباشر لهذه الظاهرة طالما أنّ النص قد برر للاعتراف بها، وطالما أنّ العقل لا يرى استحالتها، وطالما أنّ العلم القطعي لم ينطق بكلمته بعد، وحتى في صورة إفصاح العلم عن رأيه إزاء الظاهرة، فإنّ الكشف عن البعد المادي لا ينفي وجود البعد الغيبي أصلاً.

ومهما يكن فإنّ التعارض هنا في المعطيات المادية بين الدين والعلم لا يعدو أن يكون وهمياً وغير حقيقي.

وهذا يشبه إلى حد كبير التعارض الموهوم في مجال العلوم الإنسانية، حيث يتم إخراج القضية بصورة صراع ما بين الدين والعلم. وقد يسعى المثقف بدافع من الاعتداد العلمي، إلى تقديم تصوراته بصفتها ناجزة ومكتملة، مع أنه وبمقتضى العلمية ذاتها تميل التصورات العلمية أن تكون حيوية، وهذا لا يتأتى إلا من خلال تقديم العلم نفسه على أنه منهجية وطريقة في البحث لا أكثر.

٤- الفصل بين التنظير والواقع:

ينظر المثقف إلى أنّ تجدد العلوم الدينية أمر ضروري لمماشاة الواقع المتغير، بينما يصر العالم الديني على صياغة علومه الدينية على أساس من علوم الفلسفة والمنطق والأدب والبلاغة والفقه والأصول والدراية... نظراً لما تحظى به هذه العلوم من تماسك. ويرى المثقف

أنّ هـذه العلوم تتسـم بطابع الهيمنـة على الواقع ومحاولة إخضاعه واحتوائه كلياً أو جزئياً.

ويعزو المثقف إلـى أنّ هذا الموروث هو الـذي جعل مـن الدين فكـراً غريباً لا يسـتجيب لمتغيـرات الواقـع وتحولاته، ولا يشـبع طموح الإنسـان المسـلم أو يـروي غليلـه في شـيء... وبالتالـي ينبغـي أن ترتبط العلـوم الدينية بعجلة العلـوم الإنسـانية مـن اجتماعيـة وسياسـية واقتصادية ونفسـية... وهي علوم تتسـم بكونها أكثر التصاقاً بالواقع من غيرها.

وقـد يبـدو أنّ مهمـة المثقـف هنـا تتحدد فـي إطـار تفسـير الواقـع الدينـي بمـا يتلائم مع توصيـف بنيـة هـذا الواقع بمعزل عـن الأهداف المعياريـة وإطلاق الأحكام. بينمـا تكمن مهمة العالـم الديني في تغيير هذا الواقع بما يسـمح له بالتكيـف مع ما تصبو إليه النظرية، وذلك بصفته

محيطاً بأبعاد النظرية الدينية من جهة، ومبلغاً رسالياً من جهة ثانية. فالمثقف أشبه بالباحث الذي يصف الواقع ويسجل توصيات ذات طابع نقدي، أما زمام التكييف والتغيير فيقع على عاتق العالم الديني. وإذا صح هذا الكلام، فإنّ إشكالية العلاقة بين المثقف والعالم الديني تظهر إلى السطح بمقدار ما يتجاوز أحدهما مجال اختصاصه ليصدر الأحكام فيما هو من مجال الطرف الآخر.

رسالة المنبر الحسيني

١- عندما ندقق النظر في الأسلوب الثقافي والفكري للمنبر الحسيني، نجد أنه منبر دعوة ومنبر توعية، ومنبر حركة، ومنبر ثورة، وهو منبر الإسلام كله؛ لأنّ الحسين عليه السلام كان إمام الإسلام وداعية للإسلام، ومشكلتنا أننا جمدنا الحسين عليه السلام في الدمعة والمأساة وجمدناه وعزلناه عن الواقع، لأنّ الذين يقيمون المنبر الحسيني في الغالب يشترطون أن لا يقوم الخطيب بعملية تصحيح، فلا يتكلم بشؤون السياسة الحيوية، ولا يلامس القضايا الحية التي تثير حساسية المجتمع، ولا يناقش المفاهيم القلقة التي انطلق الناس فيها على أساس خاطئ، لأنّ الناس لا يرضون، وهكذا جمدت

كربلاء وكفّت، إلا في المواضع الحيوية من حركيتها كما لاحظنا ذلك في انطلاقة الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ عندما قال: «**كل ما عندنا هو من عاشوراء**».

وفي العراق قديماً كان الخطباء الذين يحركون قضايا كربلاء في خط الحرية وفي خط العدالة، يتهمهم الناس باليسارية أو الشيوعية، وهم ليسوا كذلك، فكانوا ينقدون الحكم والحاكم وينقدون كل الواقع السيئ، فالظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية اجتمعت آنذاك على أساس أن تجمد قضية الحسين عليه السلام في حين أنّ القضية الحسينية تمثلها كلمة للإمام الصادق عليه السلام: «**أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا**».

وموقف الأئمة عليهم السلام واحد، كما جاء في الصحيح عن الباقر عليه السلام: «**من كان لله مطيعاً**

فهـو لنـا ولي، ومن كان لله عاصيـاً فهو لنا عدو، والله لا تُنال ولايتنا إلا بالعمل»[1].

٢- إنّ اجتمـاع النـاس في عاشـوراء يلقي علـى صاحـب المنبـر مسـؤولية كبيـرة، إذ ليـس كعاشـوراء فرصـة يسـتطيع من خلالهـا أن يعمق الوعـي الإسـلامي، وينقد الأوضاع اللاإسـلامية وينفتح على القضايا العامة، ويقارن بين المأسـاة التـي كان قد عاشـها أهل البيت عليهم السلام والمأسـاة التـي تتحرك فـي الواقع مثل المآسـي التي تعيش فـي أكثـر من بلد إسـلامي وفـي مقدمهـا القضية الفلسـطينية. عند ذلك يشعر الإنسان وهو يستمع إلـى مأسـاة الحسـين عليه السلام أنه لا يريـد أن يتمثل المأساة في الماضي، لأنك عندما تربط بين مآسي الحاضـر وبين مأسـاة الإمام الحسـين عليه السلام في

(١) مسـتطرفات السرائـر، لابـن إدريس الحلي: ج ٣ ص ٦٣٦.

خط معين فإنك تستطيع أن تتمثل تلك المأساة في هذه المأساة.

٣- الأساليب يمكن أن تتطور، فالشعراء الماضون جاء شعرهم منسجماً مع ذهنيتهم في ذلك الزمن لأنهم عاشوا مفردات زمنهم في هذه القضايا، أما الآن فقد أصبح العالم يتمثل المأساة بأساليب جديدة، وليست هذه دعوة إلى فصل مأساة الإمام الحسين عليه السلام عن العاطفة، فالعاطفة أساسية جداً، وقضية الحسين عليه السلام ليست قضية ثورة فقط، بل هي مأساة أيضاً، فالمأساة هي التي حركت الثورة، والعاطفة هي التي شاركت في امتداد القضية الحسينية، ولكن للعاطفة أساليبها، وفي هذا العصر لنا أساليب معينة، فهل نحن نمارس أساليب أجدادنا في الملبس والمأكل؟ أليس لدينا الآن أساليب في التحيّة غير تلك التي كانت متداولة؟!

فإذا أردنا أن نخلّد قضية الحسين عليه السلام حتى تدخل الجامعة وتنطلق في المجالات التي يلتقي فيها المسلمون وغيرهم، علينا أن نطوّر عرضها، ونعقلن الكثير من الأشياء التي يتناولها المداحون، حتى نستطيع أن نجعلها تمتد في الناس ويكون هذا المنبر هو منبر الإسلام، وينطلق الحسين عليه السلام فيه كإمام للإسلام في كل مجالاته.

٤ - على الخطباء دراسة السيرة الحسينية في المصادر الموثوقة، ومحاولة إثارة الدمعة من خلال الحقائق، ومن خلال التصوير الأدبي الفني الذي يترك أثره في نفوس المتلقّين، إذ يمكن أن تصوّر طبيعة الطف والمأساة بالأسلوب الأدبي والفني المناسب لترى تعاطف الناس مع ما تطرحه.

والخطيب أو الشاعر يجب أن تكون لديه ثقافة أدبية، بحيث يملك تصوير المأساة وتصوير الواقعة بأسلوب مؤثر، وأعتقد أننا

لو ملكنا الأسلوب الأدبي الفني الرفيع الذي نستطيع من خلاله أن نصوّر الواقع الحسيني، لاقتحم فكر الحسين عليه السلام كل بيت.

على أن لا تكون قضية الحسين عليه السلام مجرد دمعة، لأنها قضية رسالة تناقلتها جملة من أصحاب جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فأعلنها الحسين عليه السلام قائلاً: «**إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر**».

وربّما كان الهدف من استحضار كل المناسبات الإسلامية الحية، هو إحياء النص والفكر والحركة وفق المفاهيم الإسلامية من أجل أن يتغير الإنسان فينا ليعرف كيف يتطوّر أكثر في زمن يقفز الإنسان فيه قفزات كبيرة جدّاً في العلم والمعرفة والتجربة والحركة والأساليب.

المنبر الحسيني

ومسؤوليات الأمة



لا يمكن أن يقدم المنبر رسالته في رحاب القيم التي رسّخها الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء ما لم تتضافر المسؤوليات بشكل سليم:

أولاً: مسؤولية أصحاب الحسينيات:

إنّ إخواننا المؤمنين من أصحاب الحسينيات والمموِّلين لها، يتحملون مسؤوليتهم الإسلامية من خلال:

١- تحريك الحسينيات في خطِّ الوعي الإسلامي الرسالي الولائي الذي يجمع المسلمين المؤمنين، ولا سيما أتباع أهل البيت عليهم السلام ولا يفرقهم.

٢- اختيار الخطيب الرسالي (التقي النقي) الذي يفتح عقول الناس على الفكر الإسلامي الواعي ولا يغرقهم في أوهام التخلف، ويؤصل لهم العقيدة الإسلامية الإيمانية، ولا يدفع بها إلى الغلوّ والخرافة.

٣- اختيار الخطيب الرسالي الواعي الذي لا يثير الفتنة، ولا يستغل غرائز العوام، ولا يلعب بعواطف الناس طلباً للانجذاب إليه بدلاً من أن يوجّه هذه العواطف باتجاه المفاهيم الرسالية.

إنّ أصحاب الحسينيات يتحملون وزر كل السلبيات الناشئة من ذلك على الأمة. وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلادِهِ، فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ»[1].

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٦٧.

ثالثاً: مسؤولية الخطباء:

يتطلب من الخطباء أن يثقفوا أنفسهم وأن يطرحوا العناوين الحسينية للنهضة أكثر من طرحهم المأساة الحسينية، وليس معنى ذلك أنّنا نتنكر للمأساة فإنه لا بد أن تبقى الفكرة الحسينية مغسولة بالعاطفة، ولكن علينا أن نعرف كيف نستخدم أساليب العاطفة، لأنّ أساليب العاطفة تتطور مع الزمن، ولذلك يمكن أن تكون بعض الأساليب متوارثة منذ مائة سنة، وربما كانت مفيدة في حينها ولكنها أصبحت الآن مضرة من هنا يستوجب على الخطباء:

١ - التجديد في الأسلوب، وخاصة فيما يتعلق بالشعر الحسيني؛ الذي قد نُظم أكثره في بيئات سابقة كانت تحاول أن تصوّر القضية الحسينية بطريقة تتناسب مع تقاليد وذهنيات ذلك العصر، ونحن نحتاج إلى شعر حسيني،

يتناسب مع المرحلة التي نعيشها ومع ذهنيات الشباب والجيل المعاصر في إثارة العاطفة.

٢- نحتاج إلى تنقية المضمون بإبعاد الخرافة عن السيرة الحسينية، فالبعض يحاول دائماً أن يقدم السيرة بشكل خارق للتصور أو مناف للعقل والمنطق من أجل إثارة العاطفة، ولذا نحتاج إلى أن نحافظ على التحدث إلى الناس بالصدق في الرواية، وذلك بتوثيقها، فلا يكن الهمُّ كله استنزاف الدمعة وإثارة العواطف على حساب الحق، وقد قال الصادق عليه السلام لقيس الماصر: «تَتَكَلَّمُ وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَبْعَدُ مَا تَكُونُ مِنْهُ؛ تَمْزُجُ الْحَقَّ مَعَ الْبَاطِلِ، وَقَلِيلُ الْحَقِّ يَكْفِي عَنْ كَثِيرِ الْبَاطِلِ»[1]. فعلينا أن نبقي العاطفة في أسلوب عرض المأساة الكربلائية، ولكن الواجب علينا أن نعمل على

(١) الكافي: ج ١ ص ١٧٣.

أن تكون العاطفة صادقة لتثقف الناس بالحقيقة لا بغير الحقيقة ... فلو كان لدى الخطيب ذوق أدبي وكان عنده فن أدبي وكان يستطيع أن يطرح الأشياء الصحيحة في عاشوراء ويصورها تصويراً فنياً وأدبياً مؤثراً فإنّه يمكن أن يجعل الناس يبكون من دون إضافة أشياء أخرى من غير الحق.

٣- لا شكّ أن العاطفة مقدسة، ولا إنسانية بدون عاطفة، والحسين عليه السلام هو سيد الإنسانية في معنى العاطفة التي كان يعيشها في نفسه -كأي إنسان يقف أمام المأساة- والتي يعيشها تجاه أمته. ولكن الحسين عليه السلام كأبيه، لأنّ الله يريد له أن يجسّد القوة في صبره كما يجسد القوة في قتاله، وهذا ما جسدته زينب عليها السلام بقولها: «**اللهم تقبّل منا هذا القربان**»، وتقول في مخاطبة يزيد: «**فكِد كيدك وناصب جهدك، فإنك لن تمحو ذكرنا ولن تميت وحينا**»، وتقول في مخاطبة ابن

زيـاد: «**ثكلتك أمـك يا ابن مرجانـة**»، فهل زينب التـي تتحـدث بهـذا الحديـث الذي نسـمعه هي الإنسـان التي لا شغل لها إلا البكاء والصراخ وما إلى ذلـك؟!... إذن العاطفة لها أسـلوب خاص، فيجـب أن تعـرف كيـف تحـرك العاطفـة بحيث يستشـعر الإنسـان الحـزن ويعيـش القضيـة حية حارة، بحيث يخلق لديه وعياً ولا يخلق تخلفاً.

٤ - المنبر الحسيني يحتاج إلى ثقافة أعمق وأوسـع، فـلا يكفـي أن يحفظ الخطيـب بعض القصائـد ليرددهـا علـى مسـامع النـاس، وفيهم المثقفـون والأكاديميـون وحملـة الشـهادات المختلفة ومن مذاهب شتى، فلا يجوز أن نأتي بأشـخاص متخلفين لقـراءة مجالس الحسـين، لأننا بذلك نقوم بتشويه صورة الإسلام من حيث لا نقصـد، فالكثيـر من الخطبـاء مخلصون لكن تعوزهم الثقافة التي تجعلهم بمستوى مهمتهم.

٥- على الخطيب أن يتعامل مع الخطابة الحسينية كرسالة إسلامية لا كمهنة للعيش فقط، فلا بدّ من أن تتوفر عنده الثقافة الإسلامية بطريقة علمية واسعة عميقة منفتحة على تطورات الذهنية المعاصرة في أساليبها وقضاياها وتطلعاتها، لأنّ لكل عصر ذهنيته التي يخاطب أهله من خلالها، ولكل جيل ثقافته، فلا بد للخطيب من أن يحدِّث الناس بقدر عقولهم، مع التدقيق في دراسة الواقع الحاضر مقارناً بالواقع الذي كان في عهد الثورة الحسينية؛ لأنّ الإمام الحسين عليه السلام انطلق لتكون رسالته في إصلاح أمة جده صلى الله عليه وآله وسلم بما عرض لها من فساد في عصره، فعلينا، إذا كنا نؤكد رسالته في امتداد الزمن، أن نقوم بإصلاح الأمة مما عرض لها من الفساد في الواقع.

٦- إنّ التاريخ ليس مسؤوليتنا الحركية،

بـل هو للدرس والعبرة، ولاستيحاء القضايا التي تبقى منه للحياة، فالحاضر هو مسؤوليتنا التي قد تأخذ من الماضي بعض العناصر الأصيلة لتخطط للمستقبل. ولكنه عندما ينظر إلى الرسالة ويرى أنّ هذا الاقتحام المادي في بعض المراحل سوف يسيء إلى الرسالة فإنه يصبر ويتأمل ويفكر، ويعطي المنهج ويخطط للمستقبل بكل رويةٍ وتأنٍ. وهكذا كان علي عليه السلام «قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ»[1]. فعلى الخطيب أن يدرس الواقع الإسلامي في تمزقاته، ولا يزيده

(١) نهج البلاغة: خطبة ٤١، والمعنى: قد يرى الذين يملكون تحويل الأمور وتقليبها والقدرة على تحريكها في كل لعبة، سواء كانت لعبة اجتماعية أو سياسية أو ما إلى ذلك، فيدعها وهو يراها في معرفة تنفذ إلى عمق الأشياء بأبعادها السلبية والإيجابية، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين.

تمزقاً بإثارة الخلافات، وإذا أراد أن يتحدث عن قضايا الخلافات الإسلامية الكلية، فليحاول أن يأخذ بالمنهج القرآني في الوقوف عند الكلمة السواء، والجدال بالتي هي أحسن، والحفاظ على وحدة الأمة.

إننا مسؤولون جميعاً عن الأمة كلها، لا سيما في ظروف المرحلة الخطيرة التي ينطلق فيها الاستكبار العالمي بكل قواه من أجل إضعاف الأمة الإسلامية، والإجهاز على كل مواقع القوة فيها، وعلينا أن نتحمل مسؤولية ذلك كله.

ثالثاً: مسؤولية الجمهور الحسيني:

إنّ المجالس الحسينية ليست مجرد مواقع لتحصيل الثواب، بل هي مواقع لتحصيل الثقافة الإسلامية والروحية الولائية الأصيلة. فعلى الجمهور أن يكون جمهور الوعي الإسلامي الذي يشجع الخطباء الرساليين الذين يحرّكون

خطابهم في توعية الناس بالحق لا بالباطل، وبالوحدة لا بالتفرقة، وبالمحبة لا بالبغضاء، وبالفكر الأصيل لا بالفكر المتخلف. لقد كان أهل البيت عليهم السلام قمة الوعي الحضاري، فلتكن المجالس الحسينية مجالس الحضارة الإسلامية الواعية، حتى نسمح لها بالامتداد في الأجيال المعاصرة والقادمة، ولا تسمحوا بكل مظاهر التخلف التي تؤدي إلى هتك المذهب مما توارثه الناس من عادات وتقاليد متخلفة.

إنّ على الجمهور الواعي اختيار الخطيب الرسالي الواعي الوحدويّ الذي يستمعون إليه، ففي الحديث عن الإمام الباقر: «مَنْ أَصْغَى إِلَى نَاطِقٍ فَقَدْ عَبَدَهُ، فَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ عَبَدَ اللهَ، وَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ الشَّيْطَانِ فَقَدْ عَبَدَ الشَّيْطَانَ»[1].

(١) الكافي: ج ٦ ص ٤٣٤.

المحتويات

كتب طبعت للمؤلف

١ - الحرمان الشريفان.. دراسة موجزة
٢ - الغضب.. دراسة معرفية وموضوعية في التراث الإسلامي
٣ - أسرار العبادات
٤ - أضواء على معالم المدينة المنورة وتاريخها
٥ - فلسفة الحج
٦ - فلسفة العبادات - الطبعة الثانية -
٧ - ثقافتنا الجنسية بين فيض الإسلام واستبداد العادات - الطبعة الثانية -
٨ - إحياء ليلة النصف من شعبان.. الرسالة والمضمون - الطبعة الثانية -
٩ - مصادر البحث عن القطيف والقطيفيين
١٠ - مناسك الحج - الطبعة الثانية -

١١ - مطارحات في الدين والفكر والمجتمع (٣ مجلدات) - طبع المجلد الأول -
١٢ - دور المستمع في ترشيد المنبر الحسيني
١٣ - الإعلام والأسرة.. رؤية قرآنية
١٤ - ملامح المنهج التربوي في النهضة الحسينية
١٥ - الزواج المؤقت بين المشروعية والإنحراف - الطبعة الثانية -

كتب جاهزة للطبع للمؤلف

١ - معجم معالم فقه المناسك.. معجم جغرافي، تاريخي، فقهي (٥ مجلدات)

٢ - حصاد الكلمة.. مجموعة محاضرات المؤلف ومقالاته

٣ - أعلام الشيعة في منطقة الحرمين

٤ - المنهج القرآني في علم الكلام

٥ - أم النبي.. سمو الذات وسمو المعنى

٦ - علوم الحديث بين النظرية والتطبيق

٧ - أثر الكلمة في التواصل الاجتماعي

٨ - العصبية في المنظور الإسلامي

٩ - حجة الوداع في الأثرين السني والشيعي

١٠ - فقه مشاعر الحج

للتواصل مع المؤلف

haalmustafa@hotmail.com

haalmustafa@gmail.com